دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التكنولوجيا والفلسفة
المصدر:	الفكر العربي
الناشر:	معهد الإنماء العربي
المؤلف الرئيسي:	زيادة، معن
المجلد/العدد:	مج 12, ع 63
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1991
الشهر:	كانون الثاني - يناير
الصفحات:	4 - 13
رقم MD:	264822
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الدول الصناعية، التكنولوجيا، الفلسفة، التقدم العلمي، أرسطو طاليس، 322-354 ق. م.، العالم العربي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/264822

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

مدخل لدراسة:

التكنولوجيا والفلسفة

درج المشتغلون بالفحص عن البعد الأخلاقي للعلم، والباحثون عن تأثير التقدم العلمي والتكنولوجي في المجتمع، على القول بأن العلم وما ينتجه محايدان، فهما ليسا أخلاقيين أو غير أخلاقيين، وأن العلم ليس مسؤولاً عن سلبيات النهج العصري التي ترافق المجتمعات الحديثة، وهو قول يبدو صحيحاً ومقنعاً في الظاهر. وحجة أصحاب هذا القول أن العلم والتكنولوجيا ليسا إلا أدوات أو وسائط، والأداة أو الواسطة تكون خيِّرة أو شريرة، حسنة أو قبيحة، بحسب ما يضمنها الإنسان. فالآلة بحد ذاتها، كل آلة وكل واسطة وكل أداة حتى السلاح، لا معنى لها ولا هدف ولا رسالة ولا مضمون، إلا بقدر ما يضعه الإنسان فيها.

إلاَّ أن الخطأ في هذا القول يكمن في أنه يكتفي بهذا الحد من تناول الموضوع، دون أن يتعداه إلى جانب آخر لا يقل أهمية، وهو أن الآلة ـ كل آلة ـ بحكم وجودها، تتدخل في سلوك الإنسان وتعامله مع نفسه أو مع الآخرين أو مع المحيط المادي والمعنوي على حد سواء. صحيح أن السكين مثلاً هي آلة يتوقف استخدامها على الإنسان، فهو الذي يمكن أن يستخدمها للقتل أو للدفاع عن النفس أو لتسهيل مهمة تخدم غرضاً إنسانياً، وصحيح أن الإنسان هو الذي يحدد هدف السكين وغرضها ورسالتها، إلا أن مجرد وجود السكين يفتح أمام الإنسان آفاقاً متعددة لم تكن موجودة قبل وجود السكين. وما يصدق على السكين يصدق على كل آلة سواء كانت بسيطة أم متطورة، عصا تضرب أفعى أم عكازاً يتكىء عليه الإنسان، مصنعاً كبيراً يصنع المنتجات الزراعية أم السيارات أم الصواريخ المتطورة، وما يصدق على الآلة يصدق على التكنولوجيا جملة وعلى العلم بشكل عام. فالآلة، منذ وجدت أبسط

الآلات حتى اليوم، تتدخل في طبيعة عمل الإنسان، وفي بناء مجتمعه، وفي صياغة طبيعة علاقاته في كافة الاتجاهات، مع نفسه ومع غيره ومع الطبيعة، في تحديد قيمته ونظرته لنفسه وللآخرين وللأشياء والكون. وكلما ازدادت قدرة الإنسان على صنع الآلات، وكلما ازداد تقدمه العلمي والتكنولوجي، ازداد تدخل الآلة في كافة جوانب حياة الإنسان. حتى أن الإنسان اليوم بدأ يفقد سيطرته على التحكم في الآلة والتحكم في مسيرة العلم والتكنولوجيا، وأخذت الآلة تتحكم بالإنسان وتحدد حاضر حياته ومعالم مستقبله.

اللاسلكي والهاتف والمذياع والاذاعة المرئية وغيرها هي وسائط، وقد يقول البعض عنها - باعتبارها وسائط - إنها محايدة، وان الإنسان هو الذي يخرجها عن حيادها فيجعلها أداة حسنة تعطي الإنسان المزيد من الحرية، أو أنها قبيحة غير حسنة تساعد على التحكم في الإنسان وتوجيهه هذه الوجهة أو تلك. ولكن ورغم كل ما يمكن أن يقال في هذا الصدد، وبغض النظر عن مضمون هذه الوسائط، فإنها قد غيرت مجرى الحياة الإنسانية، وساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في إعادة صياغة نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى المجتمع، فكان لهذه الوسائط محتوى أو مضمون أو رسالة خاصة بها إضافة إلى ما يضعه الإنسان فيها، أو كأنّ الواسطة هي واسطة لشيء آخر، أو قل واسطة لواسطة أخرى هي أثر الواسطة، كواسطة، في الإنسان.

ولتوضيح الفكرة نأخذ مثلاً اللغة: فاللغة هي واسطة الكلام، والكلام هو واسطة التفكير، واللغة سواء كانت مكتوبة أم ملفوظة أم معبراً عنها بالإشارة، هي عبارة عن رموز يستخدمها الإنسان ليفكر بواسطتها وليعبر عن أفكاره وينقلها إلى الآخرين، واستخدام الإنسان للغة لهذا الغرض أو ذاك يتوقف على الإنسان نفسه، وعلى هذا فإن رسالة الكلام هي ما يقصد أن يقوله الانسان، ولكن وبصرف النظر عن المضمون والمحتوى والرسالة التي يوجهها صاحب الكلام، فإن اكتشاف الإنسان للغة بجميع أشكالها، كان من المحطات الرئيسية في تطور الحضارة والحياة الانسانيتين، وهو أمر لا مجال للجدال فيه. وما يصدق على اللغة يصدق على كل واسطة أخرى، فالواسطة هي واسطة لتغيير حياة الإنسان(*).

(*) Marchal Mcluhan: «From Understanding Media» in Technology and Man's Future, Albert H. teich ed., Saint Martin's Press, N.Y.2nd. ed. 1977, p.99.

صحيح أن الإنسان يتأثر بالوسائط بدرجات متفاوتة، وهو أمر طبيعي، إلا أنه ليس هناك واسطة لا تؤثر في حياة الإنسان، ليس بما تحمله من مضمون فقط، ولكن من حيث هي واسطة أيضاً. وما يهمنا من آثار هذه الوسائط على حياة الإنسان الآثار النفسية والاجتماعية وبالتالي الآثار ـ الثقافية والفكرية. فرسالة الواسطة والآلة والتكنولوجيا عموماً هي ما تفعله في حياة الإنسان، هي ما تحدثه من تغيير في نمط حياته الاجتماعية وما تصنعه في وعيه وإدراكه. هذه هي القضية التي تحتاج إلى توضيح وهو ما يعنينا هنا. ذلك أن المضمون الذي يحمّله الإنسان للواسطة أو الآلة كثيراً ما ينسينا خصائص الآلة وأثرها من حيث هي آلة.

لنأخذ أي وسيلة من وسائل النقل المتطورة، القطار أو الطائرة مثلاً، كلاهما وجد بعد وجود الحركة والدولاب والطرق والنقل بشكل عام، إنهما لم يبدعا هذه الأشياء، إلا أنهما سرّعا مهمة النقل الإنساني ووسعاها. فأوجدا بذلك آفاقاً جديدة أمام الإنسان بما أحدثاه من أعمال جديدة ـ سواء في وسائل النقل هذه أم عبرها ـ وما فتحاه من آفاق رحبة بشكل عام، وضروب جديدة من الترفيه ومن الخدمات. ونظرة جديدة إلى جغرافية العالم والمسافات والمكان عموماً، إضافة إلى الزمان، إلى آخر ما هنالك من ميادين نترك للخيال أن يحاول تتبعها، إذ لا مجال لحصرها هنا. ولا يهمنا هنا أن ندخل في مناقشة المضمون الظاهري لوسائل النقل المتطورة هذه. وما إذا كانت تستخدم للحرب أم للسلم، لتنقل أخشاباً أم فحماً حجرياً أم قنابل وصواريخ. وما إذا كانت موضوعة في خدمة الإنسانية أم في خدمة فريق على حساب فريق.. وما يهمنا هو المضمون الآخر لهذه الوسائط نعني ما تحدثه في حياة الإنسان الاجتماعية بشكل عام والعقلية بشكل خاص، أو بتعبير آخر العلاقة الجدلية بين الإنسان والآلة وبالتالي الإنسان والتكنولوجيا.

الوسائط والأدوات وبالتالي الآلة والتكنولوجيا تحدد شكل وطبيعة مؤسساتنا الاجتماعية وتتحكم فيها، صحيح أن الآلة والتكنولوجيا هي وسائط وأدوات استحدثها الإنسان بعلمه وتجربته، فظن الإنسان وما زال يظن أنه الأمر الذي تأتمر الآلة بأمرته والفاعل الذي يتوقف فعلها على إرادته، هكذا متجاهلاً أن الآلة التي استحدثها، تفعل في حياته بمقدار استخدامه لها، فمنذ الفأس الحجري حتى مركبة الفضاء، مروراً بكل الأدوات والوسائط والآلات وكل أشكال التكنولوجيا، كانت

الآلة تتحكم في حياة الإنسان الاجتماعية والنفسية ـ العقلية وتحدد معالمها. ومع تقدم التكنولوجيا ازداد تدخل الآلة في حياة الإنسان، بل أصبح للآلة شروطها ومنطقها ونكاد نقول إرادتها التي تمليها على الإنسان. وإذا كان الإنسان لا يزال يحب أن يبدو في صورة المسيطر أو صاحب الكلمة الأولى، إلا أن نظرة متعمقة في تطور الآلة وازدياد فاعليتها تظهر تهافت هذا الوهم.

تعاملنا مع التكنولوجيا كان وما زال تعاملاً يجهل آثارها البعيدة في جميع مظاهر حياتنا وأبعادها. وبسبب هذا الجهل فإن جميع التحفظات والمواقف السلبية والانتقائية ـ الانتخابية التي وقفها بعض العرب من التكنولوجيا ـ أو من بعضها على الأقل ـ لم يكن ولن يكون لها أي تأثير فاعل في الحد من آثار التكنولوجيا والتقليل من سلبيات الحياة العصرية. عندما نتعامل مع المضمون المباشر للوسط والآلة، ونتجاهل المضمون غير المباشر، فاننا نقع ضحية هذا الخطأ الفادح فنكون كالغريق الذي يخشى البلل. إن ما يزيد من فعالية الآلة فينا، إنها تحمل دائماً مضموناً آخر ظاهرياً يشدنا إليه، وبذلك يغيب عنا أن للآلة من حيث هي آلة مضموناً غير مضمونها الظاهري المباشر.

عندما اهتم أرسطو بالمسرح قصر اهتمامه على المضمون المباشر للعمل المسرحي: المأساة والملهاة وأثرهما في الحياة الاجتماعية، ولم يتناول العلاقة بين المسرح والإنسان ولم يهتم بظاهرة المسرح وأثرها في حياة الإنسان. وعندما يتغنى الشاعر الجاهلي ـ وهو المثقف المستنير في عصره ـ بالسيف قائلاً:

«وسيفي كان في الهيجا طبيباً
يداوي رأس من يشكو الصداعا»

فإنه يقصر عنايته على المضمون الظاهري للسيف دون أن يخطر على باله من قريب أو بعيد دور السيف كآلة في نظرته للأمور والأشياء حوله. وفي مجتمعنا العربي الحديث يظن البعض أنه يمكننا أن نستعير تكنولوجيا الحضارة الحديثة وأن نفيد منها دون أن يمس ذلك بقيمنا الفكرية وتراثنا الثقافي. ويصر البعض على أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة يعني أن نفيد من التكنولوجيا الحديثة وأن نحافظ على كل تراثنا في آن.

نحن نسعى وراء التصنيع ونحرص على اقتناء التكنولوجيا المتطورة، وفي نفس

الوقت نصر على التمسك بكل أسس ثقافتنا التراثية مؤكدين مواقفنا الفكرية والمبدئية من مضمون التكنولوجيا. إلا أن هذا لن يجدي فتيلاً في وقف التغيير الجذري الذي تحدثه التكنولوجيا في ذاتنا وفي حياتنا، ذلك أن آثار التكنولوجيا هذه لا تحدث على مستوى الوعي والإدراك، إنها تفعل في أحاسيسنا وفي أنماط إدراكنا دون استئذان ودون أن نملك أن نرد فعلها، ولهذا فنحن دائماً نجد أنفسنا وقد جرفنا التيار من حيث لا ندري. ومثلنا في ذلك مثل ذلك المفكر العربي الذي كان يردد دائماً تحفظه على أغاني أم كلثوم معتبراً إياها ظاهرة سلبية في حياتنا لا تتماشى مع روح العصر، إلا أنه فوجىء ذات يوم بنفسه وهو يتمتم مترنماً: «عودت عيني على رؤياك». وهو في هذا يشبه ذلك المثقف الذي يحب أن يؤكد أن ما يراه ويسمعه ويشاهده من إعلانات لا يؤثر فيه، دون أن يدري انه بمجرد حرصه الشديد على تأكيد هذا الموقف يثبت تأثره بهذه الاعلانات عامة وبظاهرة الاعلان بشكل خاص.

ويميل الإنسان بشكل عام، والإنسان المثقف بشكل خاص، إلى تأكيد حريته واستقلاله، ولعل هذا هو السبب في ظن الإنسان أن علاقتنا مع الآلات والوسائط والتكنولوجيا عامة تتوقف على مواقفنا الفكرية، وأن آراءنا ونظرياتنا هي التي تحدد طبيعة هذه العلاقة، وأننا نحن الذين نتحكم بالتكنولوجيا، وأن التكنولوجيا ليست إلا نتاجاً إنسانياً وجد أصلاً لخدمة الإنسان. إنها وجهة نظر سائدة في مجتمعنا، إلا أنها وجهة نظر تقوم على وهم شائع، وأخطر ما في هذا الوهم أنه يضللنا ويحجب عنا الرؤية فلا نعرف إلى أين نسير. والإنسان الذي لا يعرف إلى أين يسير هو إنسان فاقد لحريته حتى لو كان يملك أكثر الأسلحة تطوراً وأحدث الوسائط التي تساعده على الوصول. وإذا كان البعض يرى أن أحد الأسباب الرئيسية للحرب التي يشهدها عالمنا هو تلك الأخطاء الفكرية، فإن خطأً فكرياً من النوع الذي نتحدث عنه لا يدفعنا إلى الدخول في حروب لا ضرورة لها فقط، بل وإلى الدخول في حروب خاسرة أصلاً.

عندما نمعن النظر في التكنولوجيا، من أبسطها إلى أعقدها، نجد أنها تطوير وامتداد لحواسنا أولاً وقبل كل شيء، ولقدراتنا بشكل عام بعد ذلك. ميزان الحرارة هو تطوير لقدرتنا على الإحساس بسخونة الأشياء وبرودتها، التلسكوب هو تطوير لقدرتنا على رؤية الأشياء عن بعد، والمكروسكوب يساعدنا على رؤية الأشياء

الصغيرة. وأجهزة اللاسلكي والهاتف والمذياع هي امتداد لآذاننا، والبوصلة تطوير لقدرتنا على الإحساس بالاتجاهات، والقبّان والميزان يساعداننا على الإحساس بالخفة والثقل. والدرّاجة والسيارة والقطار والطائرة امتداد لأقدامنا والأسلحة امتداد لأيدينا نضرب بها الأشياء والأشخاص والأمكنة. والعقل الالكتروني توسيع لقدرتنا على حفظ المعلومات وتصنيفها وفرزها، وهكذا.. إذا أمعنا النظر في كل آلة وكل واسطة وكل ما يشكل بمجموعه ما نطلق عليه اسم التكنولوجيا، فإننا نجد أنه يصدق عليه أنه تطوير لحواسنا وقدراتنا وامتداد لها. وعلى هذا فإن التكنولوجيا هي الإنسان نفسه بشكل مضخم ومتطور. لقد قضى الإنسان ملايين السنين حتى تمكن من تطوير أعضائه وحواسه وقدراته حتى أصبحت على ما هي عليه اليوم. ومن الطبيعي أن ينعكس تطوير حواسنا وتوسيعها وتقدمها على ذواتنا. لقد أصبحنا مختلفين عما كنا عليه. نظرتنا لأنفسنا اختلفت عن السابق لأن ثقتنا بأنفسنا ومعرفتنا لأنفسنا قد اختلفت وتطورت، ورؤيتنا للأشياء تغيرت ونمط تفكيرنا اتخذ أشكالاً جديدة وأبعاداً جديدة... ذلك أن تطوير وتوسيع قدراتنا الحسية والبدنية يفرض معادلات جديدة بين قوانا المختلفة من جهة وبين هذه القوى والكون بكل معطياته من جهة أخرى.

باختصار شديد لم نعد كما كنا ولن نعود إلى ما كنا عليه. لقد ولدنا من جديد كائنات بأحاسيس متطورة وقدرات متفوقة ونظرة للذات وللأشياء مختلفة. ورؤية للماضي والحاضر والمستقبل مغايرة، وشعور بالوجود والمكان والزمان من نوع جديد. وفكرة عن الحياة والموت مستجدة. لقد غيرتنا التكنولوجيا المستحدثة، فعلت فينا أكثر مما تصورنا وأكثر مما نتصور أنها يمكن أن تفعل.

التكنولوجيا كالغذاء وكالموارد الأولية، عندما تنحصر الموارد الأولية بالصيد البحري على أنواعه: الأسماك والاسفنج واللؤلؤ، فإن الصيد هو الذي يحدد أفق الإنسان الفكري وفق علاقات العمل والعلاقات الاجتماعية المترتبة على الصيد، وعندما يصبح البترول هو مصدر الدخل القومي فإن كل شيء يتغير ويتغير معه نمط تفكير الانسان وأفق ثقافته وفكره. وعندما يكون المجتمع زراعياً يختلف عنه عندما يكون تجارياً أو صناعياً، ويختلف مع هذا نمط العيش ونمط العلاقات الاجتماعية ونمط التفكير.. الخ.

يتكيف الإنسان عادة مع الآلة، ويضع نفسه في خدمتها حتى يصبح مستعبداً

ومرتهناً لها لا يستطيع الاستغناء عنها. بل إن الآلة هي التي تحدد مشاريعه وخططه وعلاقاته وطبيعة عمله. أداة الصيد هي التي تحدد طبيعة الصيد الذي يمكن أن يفكر فيه الصياد، إذا كان صائداً بحرياً فإن الأداة هي التي ترسم علاقاته مع أنواع الأسماك المختلفة ومع البحار والمحيطات، وبالتالي مع التجار ومشتري الأسماك، وتحدد دخله ونمط حياته، إلى آخر ما هنالك. والساعة في يد الموظف أو الإداري تتحكم في مواعيد نومه واستيقاظه وطعامه ومدة عمله ولهوه ولقاءاته مع الآخرين في المنزل والعمل. وعندما ننتقل إلى الحديث عن الأدوات والوسائط المتطورة فإن الصورة تصبح أكثر وضوحاً. لنأخذ الضوء الكهربائي والكهرباء عموماً كمثل، نجد أن الكهرباء تحدد وتتحكم في أكثر أعمالنا وعلاقاتنا وطبيعة هذه العلاقات، بل وفي الأنماط الاجتماعية والثقافية، وغير ذلك كثير. وما يصدق على الكهرباء يصدق على الأتمتة وعلى العقول الالكترونية والطاقة الذرية وغيرها وغيرها.

يستكين الإنسان للتكنولوجيا ويخضع لها ويعتمد عليها كما يعتمد على موارده الأولية ومصادر رزقه وعيشه، فيفعل ذلك في جميع أبعاد نفسه ومجتمعه، وهذا الفعل هو الذي يحدد طبيعة تجربته ووعيه ويرسم معالم ثقافته الخاصة. في استخدام الانسان اليومي للتكنولوجيا تتجسد العلاقة الجدلية بينهما، فهي باعتبارها امتداداً لحواسه وقدراته عموماً تعطيه القوة على تعديلها وتطويرها، وهذا بدوره يقود إلى مزيد من تعديل سلوك الإنسان وأفق ونمط تفكيره وعلاقاته، وإلى مزيد من انخراطه في عالم الآلة وخضوعه لمنطقها وإرادتها.

نخلص مما سبق إلى القول بأن التكنولوجيا تفعل في حياة الإنسان على المستويين الفردي والاجتماعي، وكلاهما ينعكس على العقل الإنساني. فيما يتعلق بالجانب الفردي فإن التكنولوجيا هي تطوير وامتداد لأعضاء الإنسان وحواسه وقدراته، وهذا الامتداد والتطوير يصب مباشرة في نفس الإنسان ووعيه وتجربته، وقد نتج عن هذا تخلي العقل البشري تدريجياً عن أنماط من التفكير لم تعد تتفق مع الشروط العقلية والفكرية المستجدة. أما فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي فإن التكنولوجيا تفرض أنماطاً جديدة من العلاقات الاجتماعية التي تنعكس على النشاط العقلي الانساني أيضاً.

الحقيقة هي أن الآلة امتداد للإنسان، إلا أن لهذه الحقيقة وجهاً آخر وهو أن الآلة كانت، منذ وجدت، أقوى من الإنسان من الناحية الفيزيائية، وهذه القوة كانت وما

زالت تتزايد بمعدلات كبرى حتى تفوقت قوة الآلة على قوة الإنسان الفرد بل وعلى قوة أي عدد من الأفراد مجتمعين. لنأخذ مثلاً واحداً فقط، وهو مثل الطائرة التي تستطيع أن تنقل كمية من البضائع في وقت محدد من الزمان لا يستطيعه الفرد ولا تستطيعه المجموعة البشرية مهما كبرت. صحيح أن الآلة لا تفعل دون الإنسان، إلا أن الآلة تحدد للإنسان أفق قوته، لأن الآلة قوة، فهي ككل قوة سلاح ساسي، بل لعل الآلة اليوم هي أمضى. الأسلحة السياسية في المجتمع الصناعي على الأقل. إنها أداة السيطرة السياسية الأولى التي تمسك بالمجتمع ككل. ذلك أن الآلة في المجتمع الصناعي الحديث تتحكم في طبيعة التركيب الاجتماعي وتضبطه من جميع جوانبه، إنها أكثر فعالية من الشرطة والجند وسائر أجهزة الضبط الاجتماعي.

من هنا كانت مقولة الحرية في العصر التكنولوجي الحديث تأخذ أشكالاً وأبعاداً مستجدة لم تعرفها العصور السابقة، بل إن مفهوم الحرية قد تطور بشكل لا يتناسب مع تعريفات الحرية المتعارف عليها. لم يعد مفهوم الحرية الاقتصادية محصوراً في حق الإنسان في كسب عيشه بما لا يتناقض مع حقوق الآخرين، بل أصبح يعني التخلص من القوى الاقتصادية والعلاقات الاقتصادية المهيمنة التي خلقت للإنسان حاجات مصطنعة تحددها طبيعة الاقتصاد الاستهلاكي. ولم تعد الحرية السياسية محصورة في حق الادلاء بالرأي وانتخاب الممثلين بل أصبحت تعني التحرر من السياسة التي ليس للمواطن فيها أي دور فاعل. أما الحرية الثقافية فقد أصبحت تعني الاحتفاظ برأي الإنسان وحقه في التفكير المستقل في غمرة ما تفرضه وسائل الاعلام، وفي مواجهة موت الرأي العام وتلاشيه على يد السلطة الحاكمة المستفيدة من الآلة عموماً ووسائل الاعلام بشكل خاص(*).

ولا يقتصر التغيير الذي طرأ على مفهوم الحرية على المجتمعات الصناعية وما فوق الصناعية بل ان هذا التغيير يمتد ليصل إلى الحرية في البلدان المتخلفة والنامية، فالحرية الاقتصادية هنا تعني حق الافادة من الموارد الطبيعية المتوفرة في الوطن، وضرورة التخلص من الأخطبوط الاقتصادي العالمي المتحكم باقتصاديات العالم وأسواقه إضافة إلى أسواق النقد. والحرية السياسية تعني حرية تقرير المصير بما

(*) Herbert Marcuse: «The New Form of control» in technology and Man's Future.
قارن المصدر السابق. ص ١٠٧ وما بعدها.

يتناسب والمصالح القومية، والتحرر من التبعية السياسية المباشرة وغير المباشرة، والحرية الفكرية تعني حق التفكير الحر وحق الحصول على فرص الإبداع وحق الحصول على المعرفة والإفادة منها والمساهمة فيها. وباختصار فإن الحرية بشكل عام أصبحت تعني التخلص من الحاجات الوهمية والمصطنعة التي استحدثتها التكنولوجيا في مقابل حاجات الإنسان الأساسية والطبيعية، الحاجة إلى الغذاء، واللباس والمأوى وفق المستوى السائد الذي تحدده ثقافة المجتمع.

يعرف البعض الإنسان بأنه الحيوان الصانع، وهذا صحيح لأنه الوحيد بين الكائنات الذي يصنع الآلات ويطورها. وإذا كان يمكن القول إن بعض الحيوانات تشارك الإنسان في الصناعة، كالطيور التي تصنع أعشاشها، أو النمل الذي يصنع قراه، أو النحل الذي يصنع لنا العسل، إلا أن مقصودنا غير هذا مما تفعله الغريزة. وعلى كل حال فان أحداً من أجناس الحيوان لم يرتفع إلى درجة الإنسان في طبيعة ما يصنعه، فاستحق الإنسان هذا اللقب أو التعريف عن جدارة. إلا أننا نقترح تعريفاً معدلاً، وهو أن الإنسان هو الحيوان التكنولوجي، وبهذا نقطع كل معترض لأن الإنسان هو الوحيد بين الكائنات الذي يصدق عليه أنه تكنولوجي. إلا أن الأهم من هذا هنا هو اننا نستطيع أن نعكس هذين التعريفين فنقول انه الإنسان هو الحيوان المصنّع بمعنى أن التصنيع قد فعل فيه فعله فطوّره وغيّره، وهو ما لم يحدث لغيره من الكائنات لأنها لا تصطنع الآلات. ومع دخول الإنسان في عصر التكنولوجيا ازدادت فعالية الآلية في حياته، وإذا كان يصح أن نسميه الحيوان التكنولوجي بمعنى أنه فاعل للتكنولوجيا فهو تكنولوجي بالمعنى المعاكس أيضاً وهو أنه منفعل بها في ذات الوقت.

وإذا كان العرب يندفعون هذه الأيام إلى اقتناء التكنولوجيا، فقد آن أن يدركوا أن التكنولوجيا ليست محايدة كما يظنون. أما المشتغلون بالفلسفة منهم فهم مدعوون أكثر من غيرهم للنظر في أبعاد التكنولوجيا الفكرية والفلسفية. ومن الواضح أن موضوع الفلسفة والتكنولوجيا ما زال غائباً عن الفكر الفلسفي العربي خاصة والفكر العربي عامة، رغم أهميته البالغة واحتلاله مركز الصدارة في الهموم الفلسفية المعاصرة.

ولسنا ندعي هنا أننا أحطنا بموضوع البحث، إلا أنه يمكننا أن نقول إننا نفتح

الباب لمعالجة هذا الموضوع في هذه المجلة، حيث إنه لا يجوز أن يظل هـذا الموضـوع غائباً عن اهتماماتنا الفلسفية وعن الفكر العربي عامة.

***

وبعد

فهذا العدد من مجلة الفكـر العربي يتنـاول الجانب غـير الميتافيـزيقي من الفلسفة، وهو جانب غير مدروس دراسة كافيـة، ولا سيما في الفكـر العربي الحـديث. وقد آن أوان دراسته وإلقاء بعض الأضواء على موضوعاته المختلفة. وقد اجتمع لهذا الغرض نخبة من المشتغلين بالفلسفة في البلاد العربية، وأدلى كل بدلوه فكان محور هذا العدد من المجلة الـذي نأمـل أن يكون بـداية طيبـة لمعالجـة الفلسفة بنـظرة علمية جـديـدة وتوظيف ذلك في خدمة الفكر العربي الحديث والمعاصر.

وتـأمل هيئـة تحريـر الفكر العـربي أن تثير مـوضوعـات هذا العـدد اهتـمام القـراء والباحثين، كما تأمل أن تأتي ردود الفعل مثمرة ومفيدة.

ونحن دائماً على عهدنا معكم.